Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما كنا لنصل إلى هذا الحضيض، لو أننا تمثلنا هذا القرن من تاريخنا، وبلورناه ذاكرة حية نستفيئ بها، ونتعلم مراكمة خبراتها. لكن أنظمة المغتصبين والصغار التي تعاقبت بعد الاستقلالات الشكلية، بذلت قصارى جهدها كي تمحو ذاكرتنا التاريخية، وتخفي في طوايا النسيان تجارب شعبنا ونضالات رجالاته طوال قرن من الزمان. إن كل نظام يبدأ تقويماً جديداً، فيعلن نفسه بداية التاريخ، وبداية الخليقة أيضاً.

.. وإذن كيف نجد وقائعنا؟ ومن الذي سيرمّم ذاكرتنا التاريخية ويحاول إحياءها؟

إنه الأدب.. وإنه الأديب.. وفي بلاد كبلادنا، تكاد الكتابة أن تكون لغواً أو خيانة، إن لم يشكل التاريخ بعدها الجوهري، ومغزاها العميق".

***

لقد كان سعد الله ونوس -أولاً وأخيراً- مبدعاً. ولذلك يظل ما أرسله في الواقع والتاريخ ناقصاً إن لم تمض القراءة إلى إبداعه. فبهذا الإبداع ينتفي ضرر ما قمنا به تجزيء أو انتزاع من السياق، ويعود نظر الكاتب في الواقع والتاريخ إلى اندغام الروح والجسد، إلى الحياة، فيبدو تطور النظر، وتترمم ثغراته، كما تترمم ثغرات محاولتنا، والطريق التي سلكنا باعتماد صياغة الكاتب، حتى إن لم يشر معقوفان إلى ذلك.

وما دامت الإحاطة ليست غرضنا، فلعل الوقفات التالية أن تكون كافية:

1- استلهم سعد الله ونوس مسرحية (الملك هو الملك) من الليلة الثالثة والخمسين من ألف ليلة وليلة، وفي بدايتها يعلن زاهد أنها لعبة تشخيصية لتحليل بنية السلطة في أنظمة التنكر والملكية.

ومن خارج النص يضيف الكاتب في مساجلته مع أحمد الحمو أن هذه المسرحية لعبة لزاهد وعبيد وليست محاكاة للواقع، بل أمثولة تساعد على فهم بعض ما يجري في الواقع واتخاذ موقف منه. والكاتب لا يفتأ يؤكد بصدد مبدعاته جميعاً أن (عكس) الواقع فقط، كما هو، ليس بالمسألة، بل المسألة هي محاولة الإشارة -عبر عكس الواقع- إلى آفاق أخرى وإلى واقع آخر يمكن الوصول إليه عبر التخلي عما يقيدنا من سلبيات ومن وعي زائف.

من خارج النص أيضاً يشرح الكاتب ما عنى بأنظمة التنكر والملكية: إنها المجتمعات الطبقية، لا سيما البورجوازيات المعاصرة، عسكرية كانت أم لا.